

اجتهادات الورق أم التكنولوجيا؟

شاع اعتقادُ لسنواتٍ طويلةٍ في أن التطور المتسارع في تكنولوجيا الاتصال الرقمي هو ما أدى إلى تراجع الإقبال على الكتاب الورقي وتناقص مبيعاته. وقدم هذا الاعتقادُ تفسيرًا لانخفاض توزيع الصحف الورقية في كثيرٍ من بلدان العالم أيضًا. وبُنِيَ هذا الاعتقادُ على أن المهتمين بقراءة الكتب قلّوا الوقت الذي يُخصّصونه لها منذ دخول عصر التكنولوجيا الرقمية، وأن أبناء الأجيال الجديدة يندُرُ بينهم من يهتمُ بقراءة الكتب. وأظهرت دراساتٌ عدة صحةً هذا الاعتقاد. كما درس عددٌ من الكتاب مسألة تراجع الإقبال على الكتب، ومن أشهرهم الأمريكي نيكولاس كار في كتابه الصادر عام 2010 تحت عنوان “السطحيون- ماذا تفعل الإنترنت بأدمغتنا؟”، والذي ترجمته وفاء يوسف ونُشر بالعربية عام 2021 عن دار سبعة للنشر والتوزيع في إطار مبادرة ترجم السعودية .

وتتوافرُ شواهدٌ لا حصر لها على صحة هذا الربط بين تراجع قراءة الكتب الورقية والتوسع في التقنيات الرقمية. ولا يُقلُّ صحته أن عددًا غير معروف من مرتادي شبكة الإنترنت يقرأون بعض الكتب بواسطة. ومع ذلك، يبدو هذا التفسير لتراجع القراءة الورقية ناقصًا، خاصةً حين يتعلّق الأمر بمن قلّ عددُ الكتب التي كانوا يقرأونها. فارتفاعُ أسعار الكتب الورقية عاملٌ آخر يُكملُ تفسير هذا التراجع في اقتنائها وقراءتها، لكنه لم يلقِ اهتمامًا كافيًا إلا في الأشهر الأخيرة، بعد أن أصاب جنونٌ شديدُ أسعار الورق، فارتفعت عدة مرات، وبلغت مستوى بات يُهدد صناعة النشر التي استطاعت التكيف في الأغلب الأعم مع موجات ارتفاع سابقةٍ أقلّ جنونًا .

والمتوقع أن يزداد هذا الارتفاعُ الراهن بمقدار ما تستمرُّ أسبابه. فإلى جانب مشاكل سلاسل الإمداد، تزداد الأسبابُ التي يمكنُ أن نسميها بنيويةً لارتباطها ببنية صناعة النشر مثل القيود البيئية على قطع خشب الأشجار، وارتفاع أسعار الصمغ، وألياف السيلولوز، والمواد الكيميائية التي تدخل في صناعة الورق، فضلاً عن الأحبار اللازمة لعملية الطباعة .

ولهذا ارتفعت أسعارُ الكتب في الأشهر الأخيرة، التي تفاقمت فيها أزمةُ الورق، بمعدلاتٍ تفوقُ ازديادها في السنوات العشر السابقة التي توسع فيها الإقبالُ على التكنولوجيا الرقمي .